

نحو منهج بديل لتقويم العلوم اللغوية - علم النحو أنموذجا -

إن العملية التعليمية تحتاج لنظرة تقويمية مستمرة، شمولية تظهر جوانب النقص الكامنة في الوسائل والأهداف و الوسائط البيداغوجية أو مزاياها . وتعكس طاقات المتعلم المعرفية وقدراته على اكتساب الملكة اللغوية واستثارة الروح الابتكارية الإبداعية والتعرف على مدى التقدم في التحصيل الدراسي أثناء السيرورة البيداغوجية. وذلك فهما عنصرا متكاملان مترابطان فالتقويم - إذا- هو العملية والأداة التي يقرر بواسطتها نجاح العملية التربوية التعليمية سواء على مستوى المعلم أو الطريقة.

إنّ التقويم ليس مجرد وسيلة لاختبار مدى نجاعة المادة والوسيلة والمنهج التربوي فحسب. بل إنه أداة تساعد المعلم على تدارك النقائص الكامنة في طرقه التواصلية البيداغوجية، واختبار مدى وظيفته ونجاحه في الوسط التربوي والتعليمي، فالتقويم - إذا - هو العملية والأداة التي يقرر بواسطتها نجاح العملية التربوية التعليمية سواء على مستوى المعلم، والمتعلم أو الطريقة لأنّ التقويم ليس مجرد وسيلة لاختبار مدى نجاعة المادة والوسيلة والمنهج التربوي فحسب. بل إنه أداة تساعد المعلم على تدارك النقائص الكامنة في طرقه التواصلية البيداغوجية، واختبار مدى وظيفته ونجاحه في الوسط التربوي / التعليمي.

فالتقويم عند علماء التربية (منهج علمي يسخر الأدوات والوسائل لضبط العوامل المؤثرة في النشاط التكويني ليتم تشخيص العوائق ومن ثمّ تسهيل الوصول إلى الهدف). إنه (قياس مدى صحة الإجراءات التي اتبعت لتحديد مدى التقدم الذي يحرز المتعلم نحو تحقيق أهداف تعليمية معينة)⁽¹⁾

فهو إذا عملية مقارنة بين حالتين: ما هو كائن فعلا وما يجب أن يكون مع اقتراح التعديلات. فالتقويم له دور أساس في إعداد المواقف التعليمية التي تتناسب الفروق الفردية، واستثارة الدافعية للتعلم المستمر وبذلك تتحقق الأهداف التقييمية. وهنا، لابد أن نطرح تساؤلات: لماذا التقويم؟ ما واقعه؟ وكيف يجب أن يكون؟

(1) أساليب الاختيار والتقويم، لندن مؤسسة فرنكلين للطباعة 1973، ص 3

1. لماذا التقويم ؟ إن التقويم في المجال التربوي ضرورة لأنه

1- يصنف المتعلمين بحسب طاقاتهم العقلية، ويميز بين قدراتهم الفردية ويستغل هذه المعطيات لأجل تكييفهم مع البيئة الاجتماعية. ويحدد مستويات الفهم وحدوده .

2- كما أنه يزيد من النشاط والجهد المبذول، أي الزيادة في النشاط العام للمتعلم والمستوى التعليمي، ما دام الهدف هو تغيير سلوك المتعلم .

3- يعنى بمتابعة النمو اللغوي الفعلي للمتعلم، لذلك كان لا بد من استخدامه أثناء العملية التعليمية، لا في أعقاب نهاية الفصول الدراسية الثلاثة فحسب.

4- يمكن للمتعلم من اكتساب اللسان العربي، والذوق الجمالي الجماعي، ومجانبة اللحن والفساد.

ولذلك يرتبط التقويم الناجح بعملية تربوية حديثة هي « التغذية الراجعة »، ويشكل معها كلاب لا ينفصم، كونها تسعى إلى إعلام المتعلم بنتيجة تعلمه، والتخفيف من حدة انفعالاته وتخوفه وقلقه، نحو المادة، المعلم والامتحان.

فالتغذية الراجعة (هي عبارة عن إتاحة الفرصة للمتعلم ليعرف ما إذا كان جوابه عن السؤال المطروح صحيحاً أو خطأ... إن التغذية الراجعة لا

تقتصر على إعلام المتعلم بنتيجة تعلمه، بل على المعلم أن يبين للمتعلم مدى الصحة في جوابه و مدى الخطأ ... وبمعنى آخر إلى أي مستوى كان جوابه دقيقاً⁽¹⁾

وتعتبر التغذية الراجعة من أهم ثمار عملية التقويم، حيث يتم من خلالها تزويد المتعلم بمعلومات تفصيلية عن طبيعة تعلمه، ومن ثم النجاح في تمكينه من تغيير سلوكه، عندما يتحسس أخطائه. فالتقويم لا تظهر فعالياته إلا إذا تحققت التغذية الراجعة.

واقع تقويم العلوم اللغوية - النحو نموذجاً -

إن إلقاء نظرة تفحصية نافذة شاملة لواقع التعليم التربوي يفضي إلى نتيجة هامة، تؤكد أن التقويم انصب كله على المتعلم فحسب .

2.1 - أسباب الفشل :

1- اعتماد المنهج التخزيني - إذا - أنصار هذا المنهج يرون أن المعرفة تقوم على مدى قدرة العقل على تخزين ذلك النشاط في الذاكرة، ثم تذكرها واستظهارها (فالحفظ أساس التعلم) .
وكلما كان المتعلم كثير الحفظ كان ذلك دليلاً على نجاحه، ومن ثم نجد أن المعلم صار يركز همه في تقويم المادة على نمط سؤالي

(1) من منشورات المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للتعليم، الرياض ص 1

واحد (عرف - حدد النحو - عرف الفصاحة وشروطها) .
وإذا عجز المتعلم على الإجابة عن مثل هذا السؤال . بات دليلا على فشله .

2. اعتماد المنهج العقلي، إذ يحاول أنصار هذا المنهج التوفيق بين الذاكرة والعقل لتكون عناصر الحفظ والتصور والانتقاء متلائمة .
فهنا يجمع التوفيق بين التخزين والذكاء مع تحرير العقل، أي تعطي للعقل فرصة التحليل لانتقاء العناصر المناسبة والموضوع فتنمو لدى المتعلم دقة الملاحظة والتفكير المنتظم.

وينعكس هذا النمط مع سؤال المقال (أي اختبار المقال) الكتابي الذي يناط منه أن يحقق للمتعلم الاستقلالية وروح الاعتماد على النفس والقدرة على التفكير، والقياس وحسن الإحاطة بعناصر وجزئيات الموضوع.

لكن الملاحظ اليوم تغيب هذه الميزات الوظيفية لأن الامتحان غدا وسيلة لحشد المعلومات المخزنة ليس إلا.

وأصبح التلميذ يعول عليه ويعطيه أكثر من حجمه في نهاية كل فصل.
وبالتالي غاب الهدف المراد منه (أي اختبار المقال)⁽¹⁾

فالمنهج العلمي الشامل والمتكامل يلزم عدم إغفال أي عنصر من هذه العناصر.

(1) حسن زيان : التدريس أهدافه، أسسه 1995، ص 422

3. المنهج الشفوي :

وهو منهج أسئلة تطرح على المتعلم مباشرة في القسم ويجب عنها شفويا. فيتمكن من استخدام رصيده اللغوي ومعالجة نطقه. والتأكد من فصاحته اللسانية كما أنه يمكن المتعلم من تحقيق تغذيته الراجعة المعرفية من خلال القدرة على الاستفادة من إجابات زملاء ومدارسته أخطائهم. كما أنه يشجعهم على متابعة الدرس، ويثير فيهم روح المنافسة.

وينعكس المنهج في العلوم اللغوية من خلال عملية الإعراب خاصة إعراب الجمل والتمرينات التطبيقية اللغوية التي تحدد نوع الكلمة ووظائفها وحكمها والتمرين، إلا أن هذا المنهج لا يمكن عده وسيلة ناجعة وشاملة لتقويم مكتسبات المتعلم في علم النحو بسبب عوامل عدة أهمها:

أ- إنه يستغرق زمنا طويلا حتى يستنفد المعلم توجيه أسئلة لكل أفراد القسم الذين قد ينشغلون عن الاهتمام بالسؤال الموجه إلى زميلهم.

ب- الارتباك وحالات الخجل والقلق التي قد تنتاب المتعلم. وبالتالي تعيقه عن الإجابة وبذلك يتلاشى. الهدف الوظيفي من العملية التقويمية كما أنه قد لا يتمكن من معرفة الإجابات المثالية الصحيحة التي تثبت المعرفة في ذهنه.

(فعاليات الحفظ والاستظهار الكتابي أو المباشر لا يمكن عدها آليات نموذجية ودربا لتحقيق الغاية من النشاطات التعليمية النحوية - مثلا - بل لا بد أن تنتقي طرق أخرى للتقويم، تستشير لدى المتعلمين فرص التعليل والاستنتاج والربط وتمنحهم دقة الملاحظة) وتعرفهم بوظيفة ما يقدم إليهم من موضوعات.

فإذا أجاب المتعلم عن السؤال، لماذا أتعلم هذه المادة؟

كانت الخطوة الأولى نحو درب التقويم الناجح^(١)

وأما الخطوة فتتحقق عندما يحسن المعلم انتقاء أخبار التقويم الوظيفي الذي يتناسب والقدرات العقلية والفردية للتلاميذ.

فلا يجب أن يكون هدف المعلم من عملية التقويم مجرد إصدار حكم على مستوى التلاميذ. ولكن يجب أن يكون هدفه الرئيسي تشجيع نمو التلميذ ومساعدته لكي يفهم موقفه من العملية التربوية، ويكشف له جوانب الضعف ويساعده على التخلص منها^(٢)

2. صفات التقويم الجيد للنحو:

١- **تقويم المتعلم:** لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة ضرورة الاهتمام ببعض الكفاءات عند البدء بالتقويم وهي:

(١) هسن زيان : التدريس أهدافه، أسسه 1995، ص 422
(٢) نفس المصدر، ص 422

1- مراعاة الطاقة العقلية للمتعلم عند إجراء الاختبارات حتى تستثار ذاكرته، وينمو ذكاؤه ويقوى على الكتابة المستقلة وحسن صياغة الإجابة وبذلك يكون قد قوم ذاته بذاته.

2- تشجيع المتعلم على المبادرة بالإجابة وتبادل الآراء في القسم، وبذلك يكون قد خطا خطوة نحو التقويم النموذجي منها:

أ. **اختبار الاختيار من متعدد:** وذلك بأن تعرض على المتعلم إجابات متنوعة، متقاربة، ويلتزم باختيار إجابة واحدة صحيحة من هذه البدائل، ومثال ذلك: الخبر بإجماع النحاة هو:

أ- المبتدأ في المعنى

ب- المفيد المتهم للفائدة

ج- التابع للمبتدأ في الوظيفة

د- التابع للمبتدأ في الرفع

ويجب أن يراعى أن تكون الاجابات المموهة البديلة واضحة خالية من أي تلميح أو تعجيز، فمثل هذه الطريقة من التقويم مفيدة لأنها تجنب التلميذ الحشو الزائد في العرض، وتبعده عن الإستظهار والحفظ الببغائي والإطناب الذي قد ينحرف به عن جوهر السؤال، بل إنها تعطيه القدرة على التعرف على دقائق الموضوع وفهم جزئياته. فهي لا تقتصر على إستدعاء المعلومات بل يتمكن بواسطتها من قياس درجات الفهم العقلي والإستنتاج. فإذا ما انتقل المعلم إلى المرحلة الإنشائية (أي

مرحلة الإعراب) أتقنه وخص كل عنصر من عناصر الجملة الإسمية مثلاً بصفاته النحوية العليقة به (النسبة المئوية). وعرف الفرق بين المبتدأ والخبر.

بـ اختبار ملء الفراغ :

تساعد المتعلم على اكتساب الدقة والتركيز في إختيار الإجابة الصحيحة كما أنها تولد فيه روح الإستقلال في التفكير وتحيطه بجو نفساني مريح، إذ أنه يشعر وكأنه في لعبة تمرينية بدل أن يكون في إمتحان رسمي يثير في نفسه الخوف والقلق والنفور. ومثال ذلك: التجرد في النحو له مفردات، فقد يكون (لفظياً) مثل (الإبتداء) أو (حكماً) مثل (بالعوامل اللفظية الزائدة لفظاً).

الخبر تابع للمبتدأ في أمرين هما (الرفع) و(الرتبة). فإذا تمكن المتعلم من موضوع الجملة الإسمية استطاع أن يملأ الفراغ، ويحدد الإجابة بدقة. وقد أثبتت التجربة عندي نجاح هذا الإختبار، فمن مجموع 180 طالب، تحصل 70 ؟ على معدل فوق 20/10 و 10 ؟ على معدل تحت 20/10.

إن مثل هذه الإختبارات العلمية الدقيقة تنحو بالمتعلم عن الإستظهار والإستفراغ المعلوماتي. لأنها ذات وظيفة هامة، تجرده من روح الإتكالية والحفظ غير الواعي، وتغرس فيه قوة التحليل والتركيز والتعليل والبحث والتقصي والتمييز هو جوهر النشاط في العلوم اللغوية والنحوية بخاصة.

فإذا أردنا المضي قدما في درب التقويم الناجح للعلوم اللغوية/ النحوية، لابد ألا تتدخل الذاتية، فلا نعتمد كليا على الإختبارات التقليدية التي اتضحت نقائصها وبدأت معوقاتهما، بل الاستعانة أيضا بطرق حديثة لها صلة قوية بجوهر القاعدة مثل اختبار ملء الفراغ. والاختبار من متعدد الإجابة بنعم أو لا مع التعليل. ثم تأتي إثر ذلك عملية الاعراب التي تستوضح منها الوظائف النحوية والمعنوية بعلم لا بحفظ واستظهار وآلية مع التأكيد على ضرورة تحقيق وظيفة التغذية الراجعة أثناء المراحل التكوينية وعقب كل اختبار لكي يتزود بمعلومات تفصيلية على طبيعة تعلمه ويستفيد من نتائج الاختبارات في تحسين سلوكه اللغوي والمعرفي.

3. تقويم المعلم:

من الخطأ الاعتقاد بأن التقويم عملية تربوية ترتبط بالمتعلم فحسب وتنحصر فيه.

إن التقويم الجيد هو الذي يشمل المعلم، مادام هذا الأخير عنصرا فعالا في تحقيق المعارف وإرساء المعلومات في ذاكرة التلميذ مادام هو القائد التربوي فعلا ولكي تتحقق هذه القيادة المسؤولة، وينجح في مهامه التربوية، ويحبب المادة والدراسة للمتعلم، لا بد أن تتوفر فيه معايير أهمها:

1- الممارسة العملية المتخصصة، فالمعلم هو وسيلة التلميذ لإنتاج اللغة وامتلاكها، ولذلك لابد أن يكون مزودا بخبرات واسعة وبثقافة ثرية ومتنوعة ومطلعا على علوم العربية بأسرها.

2- التكوين المستمر الدائم والشامل، إذ لابد أن يخصص للمعلم عام دراسي عقب تخرجه من معاهد التكوين والمدارس العليا حتى يتسنى له التلمذ على يد المعلمين القدامى والموجهين.

3- الاطلاع على ثقافات أجنبية، فمثل هذا التسليح بثقافات غير قومية يمكنه التعرف على قضايا المجتمعات الأخرى واهتماماتهم الفكرية ومناهجهم العلمية فيتوسع رصيده المعرفي. ومن الخطأ الاعتقاد بأن النظرة التراثية الأحادية تعطي معرفة كاملة وأن الانطواء في المناهج القديمة ويكسب علما ويفتح باب الإبداع. فالقراءات المتعددة من بيئات لغوية مختلفة تنمي ثقافة المعلم اللغوية وتزيده هيبه ووقارا علميا⁽¹⁾

4- معايشة العلماء والنخبة المثقفة من خلال الجلسات العلمية والندوات والملتقيات.

(1) حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 438

5 الشخصية المتفتحة فالمعلم لا بد أن يكون متفهماً للمتعلم وظروفه الاجتماعية والثقافية والنفسية حتى يساعده في تقديم دروسه، فالتدريس ليس مجرد صب للمعلومات، بل هو فن من الفنون لا بد أن يستميل إليه شخص المعلم حتى ينجح في تقريبه من المتعلم (فهو أساس العملية التربوية) ⁽¹⁾

وإذا غيب عن واقعه تغيباً حسياً أو معنوياً بأن يصير أداة لممارسة القسوة والعنف أو يفر من نظام العصا على القسم خلق شخصيات انهزامية منطقية راغبة عن العلم وعن العملية التربوية بأسرها فنجاح النشاط التعليمي في العلوم اللغوية النحوية أو سواها لا ينحصر على في حسن تقويم المتعلم، بل في تقويم المعلم أيضاً. فلا بد من التوفيق بين تقويم التحصيل وتقويم المتعلم وتقويم المدرس نفسه، حتى يتحقق الهدف المستمر، وهو تنمية المجالات العقلية والنفسية والثقافية واللغوية للأجيال الناشئة. وبذلك يتحقق التقويم التعليمي الناجح على أرض الواقع.

(1) نفس المصدر ص. 423